

المعلم بين مصرقة التقليد وسند العولمة معلم اللغة العربية أنموذجا

د. نصر الدين الشيخ بوهني

جامعة حائل

المملكة العربية السعودية

تقديم

يعاني العالم العربي تحديات وعوائق جعلته يبرح مكانه، ويقف مشدوها أمام هذه التحديات والتطورات، ففي كل لحظة يصادفنا مولود جديد ينسل من عالم التكنولوجيا ويفرض نفسه علينا في جميع الميادين، وخاصة في الميدان التربوي التعليمي، وأمام هذا الزخم المعلوماتي والتكنولوجي، يظهر المعلم حائرا لا يدري ما يصنع، أياحفظ على مكتسباته القديمة، أم يواكب زمن غيره ليتغير ويغير؟

وهنا يحاول الباحث أن يعطي تفسيراً لهذه الظواهر التي فرضت على المعلم الولوج إلى عالمها، عالم العولمة والبعد عن التقليد فما موقف المعلم منها؟ ومدى استجابته لها؟

ولإجابة عن هذه التساؤلات وجب الوقوف عند مصطلحي التقليد والعولمة وتفسيرهما، ما يساعد المعلم على الخروج من البيئة النمطية إلى التجديد وفق عالمه وتقاليد العربية والإسلامية، فما المعاني التي يحملها كل من مصطلح التقليد والعولمة؟ مفهوم التقليد:

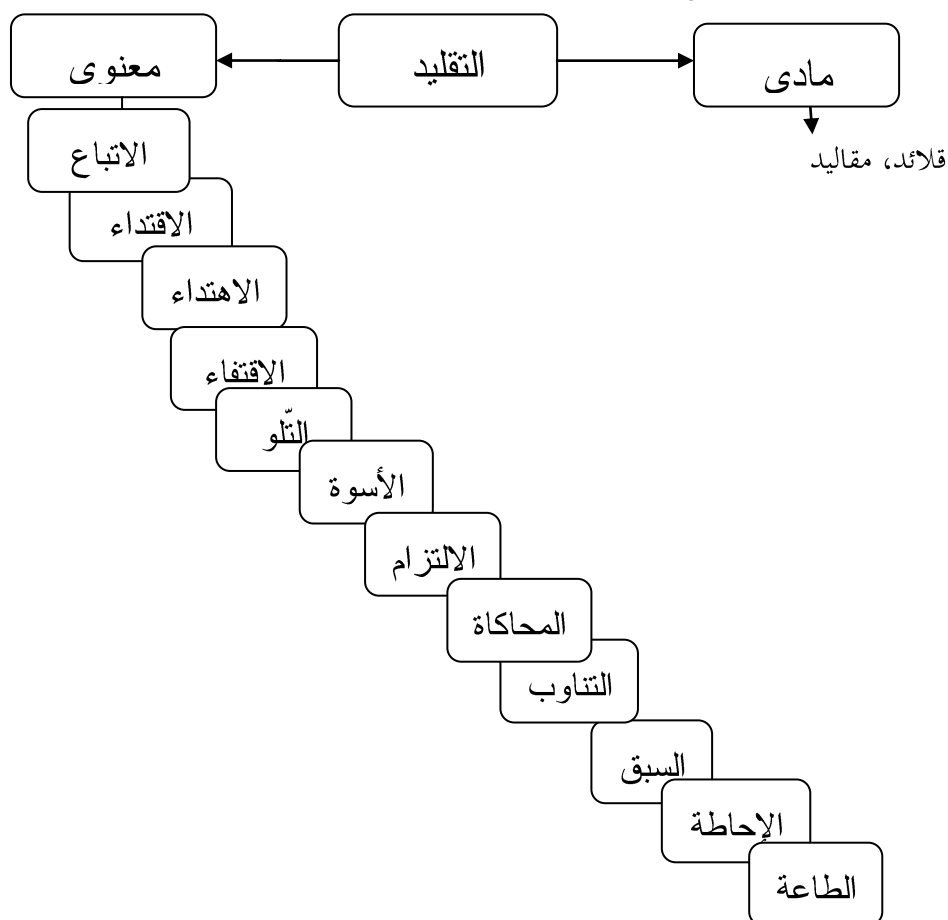
التقليد لغة: التعليق، الّلي، وهو من الفعل الرباعي (قلّد)، " فالقاف واللام والذال أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تعليق شيء وليّه به، والآخر على حظ ونصيب "1، وقلّد القلادة " التي في العنق و (قلده فتقلّد) ومنه (التقليد) في الدّين وتقليد الولاة الأعمال، وتقليد البدنة أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنّها هدي "2، وجاء في اللسان " وقد قلّده قلادا وتقلّدها، وقلده الأمر ألزمه إياه "3، و" قلّده السيف: ألقيت حمالته في عنقه فتقلّده، وقلّد البدن، وفتح الباب بالإقليد وهو المفتاح، وقلّد فلان قلادة سوء: هجي بما بقي عليه وسمه، وقلّده نعمة، وتقلّدها طوق الحمامة، ولّى في أعناقهم قلائد: نعم راهنة "4.

فمن خلال هذه التعريفات يتبين أن لفظة تقليد دلت على معنى التعليق والربط والتكليف، والتقيد والإلزام، أمّا اصطلاحاً فهي عبارة عن الاقتداء بالآخر في أقواله وأفعاله، وأحيانا في حركاته وسكناته، والتقليد: " عبارة عن اتّباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدا للحقية فيه من غير نظر وتأمّل في الدليل كان هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه... التقليد عبارة عن قبول قول للغير بلا حجة ولا دليل "5.

ويراه آخرون أنّه: " قبول قول المقلد بغير حجة، فيلزم المقلد ما كان في ذلك القول من خير أو شر "6 وهو عند الحنبلي: " وضع الشيء في العنق مع الإحاطة به؛ ويسمى ذلك: قلادة؛ وهو في عرف الفقهاء: قبول قول غيره من غير حجة؛ أخذاً من هذا المعنى؛ فلا يسمى الآخذ بالكتاب والسنة والإجماع مقلدا "7.

وقد وردت لفظة (تقليد) في عدة نصوص عربية دالة على معنيين؛ معنى مادي ومعنى معنوي، فأما المعنى المادي فهو ما دل على أمور حسية كالحلية واللباس، والآلة، ومنها القلادة والقلائد، وأما المعنى المعنوي الذي يفهم من

مضمون النص، فنعني به ما يقصده الشخص من خير أو شر فيلزمه به نفسه كاتباع غيره في أمر من الأمور، إيجابية أكانت أم سلبية وهو ما يوضحه هذا الشكل:



وهذه بعض الشواهد الدالة على هذه المعاني رأى الباحث إدراجها في هذا الجدول:

النوع	المصدر	القرآن الكريم	الحديث النبوي	الشعر العربي
القرآن الكريم	القرآن الكريم	{ لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ } 8 { لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } 9	"قُلُّدُوا الْخَيْلَ ، وَلَا تُقُلُّدُوا الْأَوْتَارَ يَعْنِي الْخَيْلَ " 10.	لَدَى ابْنِ يَزِيدَ أَوْ لَدَى ابْنِ مُعَرِّفٍ يُقَتُّ لَهَا طَوْرًا وَطَوْرًا بِمَقَلِّ 11.
الحديث النبوي	الحديث النبوي	{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } 12 { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ } 13	" لَا يُؤْمِنُ حَذُّكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ " 14	إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَّاقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعٌ 15
الشعر العربي	الشعر العربي			عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي 16

وهناك أمثلة عديدة عن هذه المعاني، رأى الباحث ألا يدرجها حتى لا يخرج عن فلك الموضوع، واكتفي بجزء منها على سبيل التوضيح.

ومن هنا يتبين أن لفظة (تقليد) تحمل عدة معاني في السياق التي تساق فيه، ومنها الاتباع والمحاكاة، سواء أكان ذلك في الأمور المحمودة أم الأمور المذمومة، وهو ما يعاينه المعلم في بيئته العربية، وخاصة معلم اللغة العربية الذي يعتبر موضوع دراستنا.

فهل يتمكن المعلم من مسابقة العالم الجديد، ومواكبة الأحداث المعاصرة، أم يركن إلى عالمه النمطي التقليدي، فيلج العالم المتأخر في جميع الميدان، ولكن الخوف كل الخوف من عصر غول العولمة الذي سيطر على الأخضر واليابس، ما يجعل المعلم بين التقدم والتأخر حائرا ماذا يفعل؟

وقد رأى الباحث أن يعطي تفسيراً واضحاً لظاهرة العولمة قبل التركيز على المعلم في عملية التدريس، فما هو مفهوم العولمة، وما أثرها على الفرد والمجتمع؟

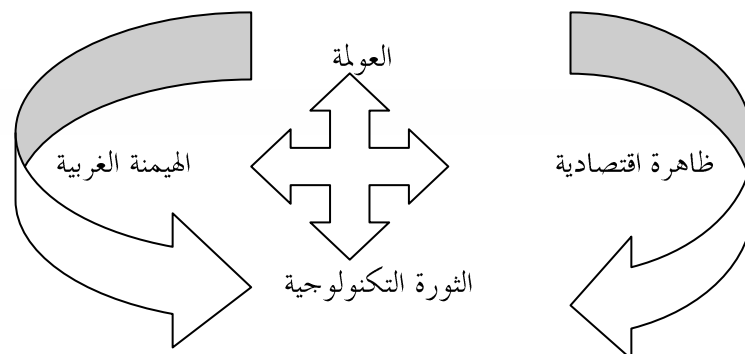
مفهوم العولمة:

ليس من اليسير إعطاء تفسير واضح للفظـة العولمة، فهي ذات جذور عربية، ويقصد بذلك أنها عربية الحروف، استبدلت بلفظة (عالمية) التي لها أصلاتها في اللغة العربية، ووردت في النصوص العربية القديمة وخاصة في القرآن الكريم بصيغة (عالم) بفتح اللام، لقوله تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 17، و" العالم في الأصل اسم لما يعلم به كالطابع والخاتم، وجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالألة، والعالم كالألة في الدلالة على صانعه... والعالم: كل جنس من الخلق، وجمع جمع العقلاء تغليبا للناس على غيرهم، لكون الناس في جملة الكائنات " 18

لقد جاءت لفظة (العالمين) مخالفة لكل هذه الألفاظ التي ترجمت عن الإنجليزية، إلا أن كلمة عولمة شاعت عن المصطلحات الأخرى، واستعملت لمقاصد عديدة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب، وظلت في مفهومها غامضة ترد على لسان مفكرين وكتاب عرب، ظنا منهم أنها صالحة لزماننا، وأنها كلمة مولدة عن لفظة (عالم) العربية، إلا أنهم أخطأوا في حقيقتها ومعناها، ذلك أن المعنى بعيد عما يراد له، وحسب الدراسة التي قام به الباحث، لم يجد لذلك أثراً، غير الترجمة التي أخذت عن الإنجليزية (Globalisation)، وقد حملت عدة مصطلحات كالكوكبة والشوملة والكونية، والدولة والعالمية، ولكن الترجمة الحقيقية للفظـة العولمة هي (Mondialisation) أما مصطلح (Globalistion) فهو قريب من مصطلح الكوكبة.

والعولمة مصطلح يدل على العموم والشمول، انسلت من كلمة عالم وترجمت عن المصطلح الإنجليزي الذي سبق أنفاً، فالحق والحق يقال إن الأقوال والأحاديث كثرت وطالت حول مفهوم العولمة، حتى لا نكاد نجد تعريفاً شاملاً وواضحاً لها، كونها غريبة ومبهمـة، وكان من الأجدر أن يكون لنا السبق في عوربة العالم لا عولمتـه، إذا صح المصطلح.

لقد حمل مصطلح (العولمة) عدة مفاهيم رآها الباحث في هذا الشكل:



1_ العولمة كظاهرة اقتصادية: ويراد بها الممارسة الحرة في الميادين الاقتصادية، والتقيد بالقوانين العالمية، والاندماج في سوق واحدة، و" اصطباغ عالم الأرض بصبغة واحدة شاملة لجميع أقوامها، وكل من يعيش فيها، وتوحيد أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات والجنسيات والأعراق" 19 ، فإذا كانت الممارسة الاقتصادية حرة ، فإنه لا يمكن الخضوع لقانون واحد، ولا لدولة واحدة، بل يتحرر الإنسان في فكره، ليعمل على احترام الآخر في جنسه وعرقه ومعتقداته، ثم إن الظاهرة التي تدعو إلى توحيد الأنشطة في جميع الميدان نراها تعيش تناقضا كبيرا مع ذاتها، لأنها لا تلتزم بما تدعو إليه.

2_ العولمة كهيمنة غربية: وهي التسلط على العالم، قصد فرض مبادئها وسياساتها، ومنها الهيمنة الأمريكية على العالم التي تعمل على بسط سيطرتها وتبني إيديولوجيتها المتمثلة في تدمير الثقافات الأخرى، وخاصة الثقافة العربية والاسلامية، ونشرها الفتن والحروب، والتحكم في العالم، ويظهر هذا من خلال مقولة أحدهم: " نحن نختار لك ودعنا نفكر نيابة عنك، واستسلم لأمرنا تكن في أمان من القتل" 20.

فهل العولمة سلب مبادئ الغير والتحكم فيه، دون أخذ رأيه، وعدم مشاركته فيما يخصه، فإما هذا وإما القتل والتشريد؟

3_ العولمة كثورة تكنولوجية: وهي أن الإعلام والتكنولوجيا قد فرضا على العالم، ذلك أن العالم في تطور مستمر، فكل يوم يطلع إلينا مولود جديد، وخاصة في المعلوماتية والأساليب والتقانات، ما يفرض علينا الولوج إليه والعمل على أخذ الفوائد التي تساعد على بناء مجتمعاتنا وزيادة في تنوير أفكارنا، واجتناب ما يضر بنا وبأبنائنا على أن هذه سلاح ذو حدين.

ومن أجل ذلك وجب التفريق بين " العالمية والعولمة، لأن بعضهم يسعى إلى تسويق العولمة على أنها عالمية بحسن نية أو للتعمية بين المفهومين، وما يحفزنا إلى التفريق بينهما، أن تحديد مفهوم المصطلح أضحي مطلباً ثقافياً، لأن الخلط بين المفاهيم يؤدي حتما إلى حالة من التلوث الثقافي التي ينبغي علاجها والحذر من أعراضها" 21.

فمن خلال هذه المفاهيم رأى الباحث أن يعطي تعريفاً آخر للعولمة، فقد وجدها تتركب من لفظتين، العو + لمة، فالعو نداء الذئاب بعضها بعضاً للافتكاك بالفريسة، و لمة هي الاجتماع حولها وأكلها، وهو ما يستنتج من هذه اللفظة التي تدعو إلى اللّم ثم الافتكاك، وهي " مفهوم مركب: سياسي، اقتصادي، ثقافي.. يصبح معها الاستتباع كلها والسيطرة عامة: اقتصاديا وتكنولوجيا وعسكريا وإعلاميا وإيديولوجيا ولغويا، وثقافيا وحضاريا " 22.

لقد انتشرت العولمة بمفاهيم متناقضة، إلا أن المفهوم الذي ينسجم مع الواقع هو أن العولمة دمج العالم في بوتقة واحدة بغض النظر عن المقومات والمبادئ الأساسية لكل أمة، كما أنها لون أمريكي يقوم على مبدأ تغيير الثوابت، وخاصة ما يخدم مصالحه كالدعوة إلى تغيير المناهج التعليمية، بدعوى إصلاح المنظومات التربوية.

التدريس التقليدي:

لا يختلف اثنان في تحديد تلك العناصر التي تعتمد عليها العملية التدريسية، فما من شيء إلا وله أسس وعناصر تؤسسه، والتدريس واحد من هذه العمليات التي تعتمد في خططها على ثلاثة أركان أساسية، لا تكتمل إلا باجتماعها؛ المدرس، المتعلم، البرنامج، كما أضاف بعض المختصين عنصراً آخر أسموه " طريقة التدريس أو الأسلوب"، وقد رأى الباحث أن يضرب صفحاً عن هذا الأخير لأنه يختلف من شخص لآخر، وينفع في موضع ويضر في آخر، إلا أنه سيعمد للحديث عنه في مقامه.

ويعتبر المعلم العنصر الأساس في العملية التعليمية التقليدية، وقبل الخوض في قضية المعلم التقليدي، يجب الإشارة إلى تلك الخصائص والسمات التي اتسمت بها المدرسة التقليدية، وما أنجبته من محاسن ومساوئ على سبيل الحصر، فالمتعلم في تلك المدرسة وفلسفتها (يجد أن أصولها، ومناهج البحث فيها تتجمع في ثلاثة اتجاهات: الاتجاه التسلسلي، الاتجاه الديمقراطي، اتجاه التحرر المطلق) 23 ، فلقد كان المدرس محور العملية التدريسية، فهو الأمر النهائي، ولا يحق لأحد من طلبته التدخل في شؤونه التدريسية، كنتعيب أو تصحيح أو إضافة، وكان الطالب لديه كالدمية التي يحركها متى ما شاء وكيفما شاء، فهو المستمع والمدون الذي يملأ عليه، فيسجل كل ما سمعه من مدرسه، تصحيحاً أو تحريفاً، وهو ما سماه تركي رابع بالاتجاه التسلسلي، أي أن المدرس هو صاحب السلطة دون منازع يعاقب ويجازي ومن يستطيع أن يدلي بدلوه عنده أو حتى التفكير في الكلام؟ وقد عهدناه في مدارسنا ومؤسساتنا التربوية، ومن سلبياته أنه:

— يجد من تفكير الطالب.

— يجعل المتعلم معتمداً في تعلمه على مدرسه.

— يعتمد على حفظ الدروس واستظهارها دون فهمها وتحليلها.

— يبعد عن المذاكرة والمطالعة والتحضير الجيد.

— يفقد الثقة بالنفس.

ولكن الحقيقة تقال إن المدرسة التقليدية كانت أمّا للمدرسة العصرية، وكان الاتجاه التسلسلي في كثير من الأحيان سبباً للمحافظة على العلم واستمراره، فكثرة المصنفات والبحوث دليل على ذلك، لأن التسلسل أحياناً يصنع الهيبة والاحترام، ولا أقصد التسلسل الذي يفقد المتعلم حريته في التفكير والتعبير، ويحدّ من نشاطاته الإبداعية، فلا هو متحرر ولا هو متغير، بل يظل حبيس تعليمات مدرسه.

غير أن هذه الاتجاهات سايرت عصورها المعهودة، وأصبحت لا تتماشى والعصر الذي هيمنت فيه التكنولوجيا، وثقفت التقانة نافذة فيه، فأبناؤنا خلقوا لزمان غير زماننا، وأن جيل الإلقاء والإملاء قد ولى، فتنوعت الأساليب، واختلقت الطرائق، وتعددت الوسائل، وتغيّرت المناهج، فما من درس إلا له وسيلته الخاصة به، ولا يمكن أن نجد له أسلوباً خاصاً به، ذلك أن العقول تختلف، والمستويات تتباين، والمشاكل تتفاقم، كما أن اللغة دوراً كبيراً في العملية التدريسية (مما يتطلب من المعلم حسن استخدام اللغة للتواصل مع تلاميذه، وعرض رسالته التعليمية للتلميذ باعتباره مستقبلاً لهذه اللغة، ولا يقتصر ذلك على اللغة المقروءة أو المكتوبة لفظياً، بل يتضمن أيضاً التواصل غير اللفظي من خلال لغة الإشارات والتلميحات والإيجاءات باستخدام الحواس المختلفة) 24.

ويشير الباحث إلى أن الاعتماد على الطرائق التكنولوجية، والوسائل المبتكرة وحدها في التدريس لا تصنع الحدث، ولا توصل إلى الأهداف المنشودة، إذا لم يكن المدرس يتقن فنيات التدريس، وعالمًا بما يدرس ومن يدرس، فهو فن إذا استطاع أن يبني علاقات وطيدة بينه وبين تلاميذه، وأن يغيّر من سلوكهم وطباعهم، ويربي فيهم ملكة العلم والمعرفة، فمثله مثل الممثل على خشبة المسرح الذي يؤدي دوراً مهماً في إيصال رسالته لجمهوره، وهو علم إذا تمكن من تنظيم معارفه وترتيبها وتصحيحها وضبطها ليتمكن التلميذ من الإلمام بحقائق ودقائق الموضوع الذي يتناوله مع معلمه.

المعلم بين التقليد والتجديد: لقد أثر النظام العالمي الجديد على الحياة العلمية والعملية للإنسان فعولم الأخضر واليابس، حتى إن الثقافة والتعليم لم يسلماً منه، وقد سبق وأن أشار الباحث إلى هذا النظام الذي يحاول إعادة النظر في تغيير مجمل المنظومات العالمية بما فيها المنظومة التعليمية، (إصلاح المناهج التربوية، إعداد المعلم)، كل هذا وفق ما تستدعيه العولمة.

إن نجاح العملية التعليمية مرهون بإعداد المعلم وتحضير المتعلم للمستقبل المنشود، فهل باستطاعة المعلم مساهمة هذا النظام العالمي الجديد والذوبان فيه، أو يعمل على السير ضده، ويقتنع بما يملك؟

يعد المعلم المحور الرئيس في العملية التعليمية التعلمية، بل هو العنصر الأساسي الفاعل فيها، وبدونه تصبح العملية التعليمية عرجاء، غير أن عصر التكنولوجيا والمعلوماتية لا يعترف بذلك، ولا يعتبر المعلم أساس كل عملية تعليمية، فلقد تعددت الوسائل التعليمية وتطورت، ولم يصبح المعلم المصدر الأول والأخير للمعرفة، بل موجهها ومرشدا، وهو ما تحث عليه التعليمية المعاصرة بإشراك المتعلم في العملية ليصبح المحور الرئيس فيها، وهذا لا يعني أن يفقد المعلم دوره، وإنما يعتبر ذلك عملا جديدا له وتحديديا في الوقت نفسه، لأنه بذلك يعد نفسه ويعيد التدريب كلما رأى أنه بحاجة إلى ذلك، " ولا سيما في ما يتصل بتمرس المعلم بأساليب التعلم الذاتي، وبالتعليم عن طريق فريق المعلمين، وبأساليب التعاون مع الآباء والمجتمع المحلي، وتدريبه على الوسائل الجديدة في تقويم الطلاب، وعلى التوجيه التربوي، وربط التعليم الأساسي بحاجات المجتمع ومواقع العمل "25.

لقد اقتحمت المعلوماتية حياة المعلم، واكتسحت جميع الميادين، فلم يعد للمعلم خيار إلا أن يركب قطارها، ويتعارك مع أمواجهات فيأخذ ما ينفع، ويتخلى عما يسيء، ومع هذا فقد ظل حل المعلمين يركنون إلى عالمهم القديم وخاصة معلم اللغة العربية الذي مازال يعيش بين النعت والمنعوت، والصفة والموصوف، ولم يتمكن إلى حد الساعة أن يرسم توجهها جديدا يتماشى وعصر التقنيات والمعلوماتية، فقلما نجد معلما يستعمل الوسائل التعليمية الجديدة في درسه، لأنه لا يفرق بين جيل الأمس واليوم، فكلاهما عنده واحد، فجيل اليوم غير جيل الأمس، وكل يتعلم حسب شاكلته، ولا ينبغي أن نعلم على عاداتنا وحسب زماننا فأولادنا خلقوا لزمان غير زماننا.

لقد حاول بعض المتزمتين والمتعصبين أن يضربوا العربية في صميمها، حينما وجدوا أصحابها يركنون إلى الجمود والتقاعس، والإشادة بالقديم دون أن يعملوا على تطوير لغتهم وترقيتها دون الإخلال بمقوماتها وأصالتها، ظانين بهذا أن اللغة العربية توطد نفسها وتؤسس لأركانها لأنها لغة القرآن الكريم وهنا تنتهي، فلا يمكن الإضافة أو التجديد، ناسين أن القرآن نفسه يدعو إلى الإبداع والابتكار، فكلمة تحدثت عن تطوير اللغة جعلوك مبتدعا لا مبدعا، ما جعل اللغة العربية تبرح مكانها.

إننا ندعو لتأسيس عالم يسوده الإبداع لا التقليد والابتداع، عالم نشهد فيه بصمتنا ظاهرة للعيان لا بصمة غيرنا، فنحن نرفض ما يزيد لغتنا إثراء وجدّة، ونقبل ما يمسخ هويتنا ويميت حضاراتنا بدعوى أن اللغة تظل على ما ولدت عليه، وهل يبقى المولود كما ولد؟

معلم اللغة العربية:

ونقصد به ذلك الشخص الذي توكل إليه مواد تدريسية تتعلق باللغة العربية، أي أنه في نظر الآخرين يمتلك من الخصائص والمهارات التي تؤهله لحمل رسالة اللغة العربية وما يتفرع عنها؛ وإيصالها إلى مستحقيها، ولكن هل كل من يعلم اللغة العربية يمتلك هذه الفنيات والمهارات التدريسية؟ فقد ألفنا كثيرا منهم من يدرسون اللغة، ولكنهم لا يمتلكون تلك الخصائص والفنيات التي تؤهلهم لبلوغ مكانتهم، ما جعل المتعلم يرح مكانه ولا يصل إلى مبتغاه، لأن المعلم بقي على شاكلته يساير وقتا ولّى وتغيّر، ولم يتفاعل مع البيئة التي أصبحت تدعو إلى التطور واللاحق بركب العالم الجديد، عالم التكنولوجيا التي ضربت صفحا عن القديم.

فبعدما كان المعلم يحشو رؤوس طلابه بالمتون والقواعد النحوية والصرفية، وما إلى ذلك من دروس في اللغة العربية إلقاء وتلقينا، وأحيانا حفظا وتكرارا، كشرح الكتب القديمة، وفرضها على الطلاب حفظا وروتينا، ما يكسبهم تقاعسا عن البحث والنظر في حل المسائل اللغوية التي يستعصى فهمها، وإدراك ماهيتها، أصبح الآن حائرا أمام هذا الزخم الكبير والهول العظيم الذي فرضته العولمة عليه وعلى غيره من المعلمين في مجالات مختلفة، هل يساير العالم الجديد أم يبرح مكانه مكتفيا بما احتواه عقله وبيئته القديمة؟

إن المعلم الذي فرض على نفسه قيودا لن يستطيع أن يواكب الركب الجديد، لأنه لا ينتظره مادام باقيا في عالمه الصغير الذي أحاطه بسياج المحافظة والبقاء على الأطلال، (إذ إنه من غير المعقول أن يسند تعليم اللغة العربية إلى عناصر غير فعالة وغير معدة ومدرّبة على الكفايات اللازمة لها) 26.

ولهذا فمعلم اللغة العربية يجب أن يتفاعل وينصهر في بوتقة التكنولوجيا لا يظل حبيس زمنه الذي ولّى وتدلّى، والمعلم الذي يقبل مثل هذا الوضع فلا مكان له بين طلابه، لأنه بهذا يحكم عليهم بالتخلف والتأخر، ويغرس فيهم روح التقاعس والتعاسة، ما يؤثر على مجتمعهم ويفسد نكهته الروحية والتعليمية.

ولذا كان لزاما على معلم اللغة العربية أن يركب قطار التكنولوجيا، لأن رسالته أصبحت من أي وقت ذات أبعاد حضارية كبرى، ولا بد أن يلعب دورا فعالا في إعادة النظر في الفلسفة التعليمية، وتوجيهها التوجيه السليم الذي يحفظ له مكانته، ويعينه على لعب أدوار جديدة تمكنه من اللحاق بعالم التقنية التي أحاطت بكل المنظومات، وغيّرت فلسفتها في مختلف مناحي الحياة.

ويرى من يمتحنون تدريس اللغة العربية، أن التغيير في العملية التعليمية غير ممكن فتدريس القواعد النحوية والصرفية والاملائية لا تزال على شاكلتها ولا يمكن تغيير أساليبها، فهي تدرس كما كانت في القديم إلقاء وشرحا، ويعتبر المعلم المحور الرئيس في العملية التعليمية التعلمية يحاور ويناقش ويملي، حتى في المقررات الأخرى التي تدرج ضمن محتويات اللغة العربية، وهذا لعمرى من الأخطاء التي تؤثر على عقلية الطالب وتجمد فكره، وتعوده على الحفظ أكثر من الفهم، وهو ما لا حظناه عند بعض المعلمين الذين أكسبوا طلابهم خمولا وابتكالا على معلمهم، حتى أصبحوا كطيور البغاء يعيدون كل ما تلقوه منهم وسمعوه دون النظر في صحته أو بطلانه، فانعكس البحث وافرغت المكتبات، وصار الطالب لا يقرأ ولا يبحث إلا بالرجوع إلى معلمه، ثم إن معلم اللغة العربية نفسه لا يبحث عما يستجد أو يبتكر جديدا في طرق تدريسه معتمدا على الكتاب، دون إعمال فكر فيما يليق به على طلابه، كإقامة (علاقات طيبة مع الطلبة، والتخطيط لعملية التدريس، وتنمية التفكير، وتعزيز سلوك الطلبة، وإثارة انتباههم، وتقبل مشاعرهم) 27، كما أن طريقة بنائه لأسئلة الاختبارات واحدة لا تضيف للطالب شيئا مفيدا ولا جديدا، ما جعل الطالب لا يلقي بالا، لأنه يعرف من أين تؤكل الكتف.

لقد نسي معلم اللغة العربية أن الحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها فهو أحق الناس بها، وهو دليل على البحث عن كل جديد، دون التخلي عن القيم والعادات والتقاليد التي تؤسس لمجتمعه وكيانه، نسي أن العالم الجديد لا يتعامل بالقديم ولا يعترف بالتقليد، فكلما ظهر جديد تقدم للأمام بحثا عن جديد آخر، فيتطور وينمو نموا سريعا لا ينظر للوراء مسبقا بذلك الزمن.

إن المعلم التقليدي الذي يتعصب لمذهبه القديم الذي لم يتغير ولم يغيره، سيجد نفسه بين أمرين أحلاهما مرّ، فإما أن يواكب الركب ويتبع كل جديد مفيد، أو يتلاشى ويتبدد في أحضان قديمه.

إن اللوم كل اللوم على من يعدّون للمدرسة أو الجامعة معلمين غير أكفاء، لأنهم يركزون في اختيارهم على الشهادة التي اكتسبوها دون خبرة أو تجربة، فليس كل من يحمل شهادة يحق له أن يعلم، لأن التعليم يحتاج إلى أن يستوعب المعلم أدواره الحضارية التي تعد من الواجبات لإنتاج القيادات بأنواعها المختلفة، ولذا فمن الضروري أن يعد معلم اللغة العربية إعدادا جيدا قبل الخدمة وأثناء الخدمة، لأنه في كل وقت يظهر له جديد، ما نجده جليا في الإعلام الآلي ووسائل التواصل التي بات من الأكيد أن يستعملها المعلم في تدريس اللغة العربية وفنونها، ومن هنا وجب على الباحث أن يستعرض تلك الأدوار التي ينبغي لمعلم العربية أن يفقهها ويلعبها في ميدانه، والتي تتلخص كالآتي:

- 1- في فصله مع طلبته: ونعني به قبل أن يبدأ في درسه ومحاضراته، عليه أن يهيء الجو التدريسي ببث الطمأنينة وإشاعة الراحة بين طلابه، فإذا اطمأن الطالب قويا للدرس، وركز على كل صغيرة وكبيرة فيه، لأنه يشعر بالطمأنينة والحرية مع معلمه.
 - 2- أثناء درسه: يشرك الطالب في تحضير الدرس والتخطيط له، مع مراعاة تبادل الأدوار بين الطلبة، ولا يتدخل إلا فيما يستحق التدخل لتصحيح وتصويب، وفصل في المسائل المختلف فيها.
 - 3- التنوع في الاطلاع: لا يحق للمعلم أن يعتمد على مصدر واحد، بل عليه أن ينوع في أخذ معارفه من شتى المصادر مكلفا طلبته بالبحث والتنقيب فيها، مسترشدا بالوسائل التكنولوجية للوصول إلى العلم والمعرفة ليبين للطالب أن العلم والمعرفة لا يعتمد في أحدهما على المعلم فحسب، وما المعلم إلا كالدال على الخير.
 - 4- مخطط ومصمم: أن يعمل على أن يكون الطالب نفسه مخططا ومصمما لدروسه، بحيث يزرع فيه روح الاجتهاد والتحدي، فيكلفه بمسؤوليات داخل الفصل وخارجه كتحضير درس ما وإلقائه على زملائه، وإعداد مشاريع والتخطيط لها، وكيفية التقويم لأعماله سواء أنجزها في البيت أم في القسم.
 - 5- مبدع ومبتكر: ألا يكون مقلدا يقول بما قيل به الآخرون دون تمييز أو إبداء للرأي، بل يحق له أن ينتقد وينتقد ويسعى لإيجاد الجديد، حتى ولو كان قديما، فعليه أن يصبغه بطابع الجدة فيطوره حسب بيئة طلبته، وألا يفرض رأيه على الآخرين، أو أن يتسلط على طلبته - أنا وما بعدي الطوفان- لأن الإبداع مباح للجميع لا يقتصر على أحد دون أحد.
 - 6- مسالم ومحاور: لا يحتكر الحصة لوحده، بل يجب أن يحاور ويناقش ويترك القدر الكبير والكافي لطلابه في إدارة النقاش والحوار، فيوزع الأدوار بينهم، ويشكل مجموعات، فيعودهم على استنتاج الأفكار وتبويبها، ومهمة إعداد التقارير وبنائها.
 - 7- مسؤول عادل: فالمسؤول الحقيقي هو الذي ينقاد له طلابه، ويسرون وراءه متيقنين أنه سيأخذهم إلى بر الأمان، لأنهم يعرفون أنه لا يتعصب لرأي ولا لفكرة وإنما يأخذ ما يراه صحيحا ومنطبقا على الجميع، فهو لا يظلم ولا يأخذ حق غيره ويعطي لكل ذي حق حقه، ويوزع الأدوار بالعدالة دون ميل أو انحراف.
 - 8- ناصح أمين: يعرف أن العلم والمعرفة يؤخذان إنطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة، فتراه ناصحا تارة، وتارة أخرى مرشدا، ومع هذا تجده أحيانا يستشير أهل العلم والمشورة.
- فاجتمع العربي الآن (بحاجة إلى معلم جديد لاجتماع جديد وإلى معلم كفاء وفعال لأجيال حديثة، ينمي لدى المتعلم صفات شخصية وأنماطا سلوكية جديدة، فيصبح لدى الطالب ثقة في نفسه وفي قدرته على تحقيق أهدافه) 28.

إن وجود المعلم الكفاء والفعال لضروري في الحياة الاجتماعية والتعليمية لتحسين نوعية التعليم، وإضفاء دور مهم في تزويد طلبته بما يملك من معارف وتجارب الحياة من زوايا مختلفة، وتؤكد الدراسات أن التعليم الفعال يعتمد على المعلمين وما يقومون به من أفعال في غرفة الصف من خلال الطرق والأساليب التي يبنونها في تدريسهم، ووجهات نظرهم ومعتقداتهم حول التدريس الفعال والمعلم الفعال 29 .

إن هذه الدراسات تجمع كل المعلمين في صعيد واحد، إلا أن معلمي اللغة العربية يختلفون عن غيرهم نظرا لكثرة المواد التي يدرسونها، وأن كل مادة تختلف عن الأخرى من حيث الأسلوب والطرح، وأن مادة تدرج تحتها عدة مواد، فمثلا مادة التعبير الكتابي تشمل تقريبا جميع مواد اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وإملاء وخط، وقراءة إلى غير ذلك من المواد التي يحتاجها التعبير بنوعيه الشفهي والكتابي، ما يجعل معلم اللغة العربية غير قادر على تنفيذ مهمته إذا لم يطور نفسه تطويرا ذاتيا وجماعيا، فيواكب التغيرات التي يشهدها عصر التكنولوجيا باستعمال وسائلها التعليمية الحديثة، كما يستدعي ذلك أن يتصف بخصائص تمكنه من جذب طلبته إليه وحبهم له، كأن يكون ممثلا يلعب جميع الأدوار التي تساعد طلبته على النجاح والتفوق.

الخاتمة:

لم يعد العصر يسمح بالتعليم التقليدي النمطي الذي جعل معلم اللغة العربية يركن للقديم ويحافظ عليه، حتى إنه فقد السيطرة على قديمه، ولم يتمكن من إبعاده للآخرين، لأن رياح العولمة هبت عليه وتركت في مكان سحيق لا يستطيع اللحاق بركبها، ما يجعلنا نستنتج الأمور الآتية:

1- أن الثورة المعلوماتية التي أنتجتها العولمة أثرت بشكل كبير على التعليم بصفة عامة، وعلى المعلم اللغة العربية بصفة خاصة.

2- أن الوسائل التعليمية تطورت، وزال قديمها كالطبشور واللوح، وأصبحت غير مجدية، اللهم إلا في مناطق متأخرة.

3- أن المؤسسات التعليمية لا زالت تتخبط في مآسي القديم كالتي تدريس بالطرق والأساليب القديمة: الإلقاء والمحاضرة والتلقين...

4- أن معلم اللغة العربية اعتاد على ما تعلمه دون تطويره أو حتى تجديده، فالدروس في اللغة العربية هي هي، وبقيت الهزمة على حالها كدار لقمان، لم تتغير عما كانت عليه، حتى عملية التدريس حفظها الطلبة عن ظهر قلب، لأن المعلم لم يغير أسلوبه ولا طريقة عرضه لدرسه، وأن التحضير لدروسه ومحاضراته ظلت واحدة دون أن تغير صياغتها.

5- أن المعلم لا يزال المحور الرئيس في العملية التعليمية التعلمية، المحاور والمناقش والمجيب، وأن الطالب هو المتلقي.

6- أن تخطيط مناهج اللغة العربية لم تكن في متناول الطالب ولا حسب بيئته أو مستواه الدراسي فهي في الغالب مستوردة.

7- أن معظم معلمي اللغة العربية غير معدّين إعدادا جيدا في التعامل مع الحاسوب وتقنياته، وحتى مع وسائل التدريس الأخرى التي أصبحت ضرورية لتحسين الحياة التعليمية لدى الطالب.

8- أن سوق العمل أصبح يتطلب كفاءات وكوادر تسير الثورة المعلوماتية، وأن المجتمع مرهون بوسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما يؤثر سلبا على المعلم إذا لم يلحق الركب سريعا، وعلى الطالب مادام معلمه متمسكا بنمطه القديم.

وعليه فقد رأى الباحث أن هناك عدّة مقترحات لعلاج هذه الظاهرة، وليتمكن معلم اللغة العربية وغيره من اللحاق بركب الانفجار المعرفي، الذي طغى على الأخضر واليابس، و يلعب دورا أساسيا في مجال التنمية الاجتماعية والرقى نحو عالم المعرفة والعلم والابتكار، فيكون بذلك سيد نفسه وخادم غيره، ومن هذه المقترحات:

- 1- إعادة النظر في إعداد المعلم اجتماعيا ونفسيا وأكاديميا وأخلاقيا وثقافيا ومعرفيا، لأن رسالته مرهونة بقدرته على غرس القيم الأخلاقية والمعرفية في نفوس ناشئته.
 - 2- تدريب المعلم على كيفية استخدام التكنولوجيا الجديدة وبخاصة في مجال المعلوماتية كالت و استعمال وسائل التدريس الجديدة، كالتعليم الإلكتروني (التعليم عن بعد)، ووسائل التواصل الاجتماعي فيما ينفع النشء.
 - 3- إعداد مناهج وبرامج تسير بيئة الطالب ومستواه الثقافي والعقلي، حتى لا ينفصم عن مجتمعه، لأن المنهاج تلك الخريطة لتي تحدد هوية الأمة وثقافتها وقيمها، وتحقق أهدافها، وهو المخطط الشامل والدقيق الذي ينتهجه المعلم والمتعلم معا في بناء شخصية قوية، تعمل على قيادة جيل يسمو للعطاء ويتطلع نحو الحرية والعدالة.
 - 4- عقد دورات تدريبية وورشات عمل ومؤتمرات وندوات (داخلية وخارجية) تمكن المعلم من استخدام آليات التكنولوجيا الجديدة، وتساعد على الاحتكاك بالآخر ليعمل على توظيفها في العملية التدريسية.
 - 5- تحسين مستوى المعلم الاجتماعي، ومساندته ماديا ومعنويا.
 - 6- أن يتسم معلم اللغة العربية بخصائص ومهارات، تؤهله للعب دوره الريادي في الرفع من مستوى المنظومة التعليمية.
 - 7- أن يمتلك ناصية اللغة العربية، ليزرع في طلبته حب العربية والافتخار بها.
 - 8- أن يقبل رأي الآخر ولا يتعنت لرأيه، ويشجع طلبته على المناقشة وإبداء الرأي بحرية، ليوفر لهم بذلك بيئة تعليمية مريحة.
 - 9- أن يتجنب الألفاظ الصعبة الغريبة، فيخفف على الطلبة صعوبات تعلم اللغة العربية وآدابها.
 - 10- أن يتجنب كل ما يثير غضب الطالب، وألا يتلفظ بما يعكس الموقف التعليمي من سلوكيات تستفز الطلبة كسب أو شتم أو احتقار، بل يكظم غيظه، ويعمل على بناء ثقة متينة بينه وبين الطلبة، ما يساعدهم على النجاح وحب معلمهم.
- ولذا فالمعلم الفعّال هو الذي يمتلك روح الدعابة، فيثبها في نفوس طلابه، ويعمل على نزع الخمول والتكاسل، ويغرس فيهم حب العمل والابتكار، ومسيرة كل ما هو جديد، وذلك بالمحافظة على القيم والتقاليد العربية والإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1_ القرآن الكريم.
- 2_ ابن فارس أحمد، (1979)، مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، ج/5، دار الفكر، بيروت، ط/2.
- 3_ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين (د.ت)، لسان العرب، ج/5، تحقيق عبدالله على وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 3717.
- 4_ البعلي أبو الفضل شمس الدين الحنبلي، (1400 هـ)، المطلع على أبواب المقنع، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط).
- 5_ آل تيمية، مجد الدين، شهاب الدين، شيخ الإسلام، (1963)، المسودة في أصول الفقه، تحقيق محمد محي الدين عبدالحמיד، مطبعة المدني، القاهرة، (د. ط).

- 6_ الجرجاني علي بن محمد الشريف، (1985)، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (د. ط).
- 7_ الرازي محمد بن أبي بكر، (1986)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان.
- 8_ الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود، (د. ت)، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د. ط).
- 9_ القرطبي أبو عبدالله الأنصاري، (1938)، الجامع لأحكام القرآن، ج/7، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط/2.
- 10 _ العالم محمود أمين، (1988)، الثقافة والعولمة، النص الجديد، ع/8، دار الخشرمي، المملكة العربية السعودية.
- 11_ المكتب الإقليمي للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة (2002)، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002، خلق الفرص للأجيال القادمة، عمان، الأردن.
- 12_ النووي أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، (2006)، الأربعون النووية، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، ط/1.
- 13_ أمين الخولي، (1968)، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج/4، دار الكتاب العربي القاهرة، (د. ط).
- 14_ تركي رابح، (1982)، النظريات التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 15_ ثعلب أبو العباس، (1928)، الصبح المنير في شرح أبي بصير الأعشى، مطبعة بيانة.
- 16_ حمودي، حسين، (2003)، مخاطر العولمة على الدول الضعيفة أو المستضعفة في الأرض، جريدة الأسبوع الأدبي العدد 883، المؤرخة يوم 15 / 11 / 2003.
- 17- خضير رائد وآخرون، خصائص معلم اللغة العربية الفعال، دراسة مقارنة، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مج/8، ع/2، 2012.
- 18_ ديوان حسان بن ثابت، (1994)، شرح عبداً مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2.
- 19_ ديوان طرفة بن العبد، (2002)، شرح مهدي محمد ناصرالدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 20_ عبيدو سعيد اسماعيل، (2002)، العولمة والعالم الاسلامي، (الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات العرب وتحديات المستقبل)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 9/8.
- 21_ عتيق عمر عبد الهادي، (2011)، اللغة العربية بين العولمة والأصالة، مجلة جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، العدد/22.

الهوامش

- 1- أحمد بن فارس، (1979)، مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، ج/5، دار الفكر، بيروت، ط/2 ص 19.
- 2- الرازي محمد بن أبي بكر، (1986)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ص 229.
- 3- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين (د. ت)، لسان العرب، ج/5، تحقيق عبدالله على وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 3717.
- 4- الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود، (د. ت)، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، ص 375.
- 5- الجرجاني علي بن محمد الشريف، (1985)، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (د. ط)، ص 67.
- 6- آل تيمية، مجد الدين، شهاب الدين، شيخ الإسلام، (1963)، المسودة في أصول الفقه، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة، (د. ط)، ص 553.

- 7- البعلي أبو الفضل شمس الدين الحنبلي، (1400 هـ)، المطلع على أبواب المقنع، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ص 69.
- 8- سورة المائدة، من الآية 2.
- 9- سورة الزمر، من الآية 63.
- 10- القرطبي أبو عبدالله الأنصاري، (1938)، الجامع لأحكام القرآن، ج/7، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط/2، ص 277.
- 11- ثعلب أبو العباس، (1928)، الصبح المنير في شرح أبي بصير الأعشى، مطبعة بيانة، ص 131.
- 12- سورة البقرة، الآية 170.
- 13- سورة الزخرف، آية 23.
- 14- النووي أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، (2006)، الأربعون النووية، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، ط/1، ص 51.
- 15- ديوان حسان بن ثابت، (1994)، شرح عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2، ص 152.
- 16- ديوان طرفة بن العبد، (2002)، شرح مهدي محمد ناصرالدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/3، ص 32.
- 17- سورة الفاتحة، آية 1.
- 18- أمين الخولي، (1968)، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج/4، دار الكتاب العربي القاهرة، (د. ط)، ص 248.
- 19- عبيدو سعيد اسماعيل، (2002)، العولمة والعالم الاسلامي، (الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات العرب وتحديات المستقبل)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 9/8، ص 12.
- 20- حمودي، حسين، (2003)، مخاطر العولمة على الدول الضعيفة أو المستضعفة في الأرض، جريدة الأسبوع الأدبي العدد 883، المؤرخة يوم 15 / 11 / 2003.
- 21- عتيق عمر عبد الهادي، (2011)، اللغة العربية بين العولمة والأصالة، مجلة جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، العدد/22، ص 366/365.
- 22- العالم محمود أمين، (1988)، الثقافة والعولمة، النص الجديد، ع/8، دار الخشرمي، المملكة العربية السعودية، ص 18.
- 23- تركي رابح، (1982)، النظريات التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 24.
- 24- صلاح الدين عرفة محمود، المصدر السابق، ص 17.
- 25- المكتب الإقليمي للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة (2002)، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002، خلق الفرص للأجيال القادمة، عمان، الأردن.
- 26- رائد خضير وآخرون، خصائص معلم اللغة العربية الفعال، دراسة مقارنة، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مج/8، ع/2، 2012، ص 168.
- 27- المصدر السابق، ص 168.
- 28- المصدر السابق، ص 168.
- 29- انظر المصدر نفسه، ص 169.